الألوان في معجم العربية*

الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة

رئيس المجمع

عنيت العربية عناية فائقة بالألوان وذلك على ألسنة شعرائها وخطبائها فيما وصل إلينا من رواة أخبارها في العصر الجاهلي . واشتدّت هذه العناية في عصور ازدهار الحضارة العربية الاسلاميّة في المشرق والمغرب والأندلس ، حتى بات موضوع الألوان من الموضوعات التي تفرد لها أبواب خاصّة في مصنفات اللغويين المشهورين .

وربما كان « كتاب الخيل » لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي : تيم قريش المتوفى سنة تسع ومئتين للهجرة (٢٠٩ هـ) ، من أقدم ما وصل الينا من المصنفات اللغوية التي أفردت مكاناً خاصاً بالألوان . فقد وضع أبو عبيدة ، كما هو معروف ، كتاباً خاصاً بالخيل ، تحدث فيه عن عناية العرب بالخيل وايثارهم لها ، وذكر أشعارهم في ذلك ، وما قالته عرب الجاهلية من الأشعار في اتخاذ الخيل . وبيّن مكانتها في الاسلام ، وتحدث عن الأمر بارتباطها وما ورد في فضلها من الأحاديث والآثار ، وأورد صفاتها وعيوبها ، وما تستحبه العرب في الخيل وما لا تستحبه . وخصّص جزءاً مهمّاً من كتابه هذا للحديث عن ألوان الخيل ...(١) فأجمل ألوانها بقوله : أدهم وأخضر وأحوى ، وكُمَيْت ، وأشقر ، وأصفر ، ووَرْد ، وأشهب ، وأبْرش ، ومُلَمَّع ، ومولّع ، وأشيم(٢) .

ثم بدأ أبو عبيدة يتحدث عن « الدُّهْمَة » والخُضْرة والحُوَّة والكُمْتة والصُّفْرة والوُرْدة والشُّقْرة والشُّهْبَة ، كلاً على حدة .

---

* بحث ألقي في المؤتمر الثالث والخمسين في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٦ ــ ١٩٨٧ .

١ ــ انظر : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، ص ١٠٣ ــ ١٠٨ .

٢ ــ انظر المصدر ذاته ص ١٠٣ .

ومن الواضح أن أبا عبيدة قد تجاوز الصفة اللونية التي تتصف بها الخيل إلى الحديث عن المصاير من حيث هو لون ، ولكنه لم يخرج مطلقاً عن موضوع الخيل ، فبقي ما يسمّى بتأكيد الألوان أو إشباعها ، الفاظاً دالة على ألوانٍ مستقلة تميز الخيل بعضها من بعض .

فمن ذلك مثلاً يتحدث عن « الدُّهمة » فيقول : « فمنهن أدهم غَيْهَب وأدهم دَجُوجيّ وأدهم أكهب » . وبعد هذا التقسيم لِلَوْن « الدُّهْمَة » ، يحدد أبو عبيدة ماهية كلّ منها من حيث كونها ألواناً مستقلة ومميَّزة فيقول : « فأمّا الغيهب فأشدهن سواداً . والدَّجُوجي دونه في السواد وهو صافي اللون ، والأكهب الذي لم يشتد سواده ولم يصفُ لونه[1] . ومن الواضح أن هذه ألفاظ تدل على ألوان مختلفة ومتميزة بعضها عن بعض . وهكذا يستمر في حديثه عن بقية الألوان ، وفق هذا المنهج ، في تحديد تأكيد هذه الألوان أو إشباعها ، كما جرت التسمية قديماً ، أو تحديد ظلال الألوان كما نسميها حديثاً . وقد يشير إلى مقابلاتها الأعجمية التي دخلت العربية . ففي حديثه عن الخُضْرة يقول : « فمنهن أخضر أحَمّ وأخضر أورق وأخضر أطْحَل وأخضر أدغم وأطْخَم » . ويواصل أبو عبيدة وفق منهجه ، فيبدأ بتحديد ماهية كلّ لونٍ من هذه الألوان ، فيقول : « فأما الأخضر الأحم فأدناهنّ إلى الدُّهْمَة وأشدهن سواداً ، غير أن أقرابه وبطنه وأذنيه مخضرة . أما الأدغم ، فهو الأصحم الذي لون وجهه ومناخره وأذنيه لون الذي يسمى « الديزج » بالفارسية . وقد يكون من الخيل أدغم خالص ليس فيه من الخضرة شيء » . وبعد ذكر مقابله بالفارسية ، يورد المصنف شاهداً لشاعرٍ تابعي هو حُضَين بن المنذر الرقاشي من أمراء علي ، رضي الله عنه ، يوم صفين اذ يقول :

عشية جئنا يا ابن زَخر وجئتم بادغم مرقوم الذراعين دَيْزِج

وبعد ايراد هذا الشاهد الذي يدل على دخول هذه اللفظة الفارسية « ديْزِج » اللغة العربية ، يواصل أبو عبيدة الحديث في موضوع الخُضْرة وفق منهجه الذي أشرنا إليه ، فيقول : « وأمّا الأطحل فالذي تعلوه في خُضْرته صُفْرة كلون الحنظل البالي ، وأما الأورق ، فإنه يكون لونه لون الرماد ، وهو الذي تخضر سَرَاتُه وجلده كلّه . »[2] ويستمر أبو عبيدة

---

١ ـــ انظر أبو عبيدة معمر بن المثنى ص ١٠٣ .

٢ ـــ انظر المصدر ذاته ص ١٠٤ .

في نهجه هذا ، مستقصياً التموجات الدقيقة داخل كل لون من الألوان الرئيسية التي ذكرها ، محدداً ظلالها ، جاعلاً من كلّ تأكيد لون ، كما تسمى في التراث ، لوناً يحدده ويعرّفه ويشرح ماهيته من خلال النصوص أحياناً . فقد جعل لكلّ لون من الألوان الرئيسية مدىً ومجالاً ، تتماوج فيه ألوان متعددة .

فبعد حديثه عن الخضرة ، يتحدث عن الحُوَّة ، ويذكر تأكيدات هذا اللون ، فيقول في حديثه عن الخيل : « فمنهن أحوى أحم ، وأحوى أصبح ، وأحوى أطحل ، وأحوى أكهب ... »(١)

ثم يتحدث عن الكُتمة في موضوع الخيل فيقول : « فمنهن كُمَيْت أحم ، وكميت أطحم ، وكُمَيْت مُدمَّى ، وكُمَيْت أحمر ، وكميت أكلف .... »(٢)

ثم يتحدث عن الصُفّرة فيقول : « ومن الصُفْرة أصْفَر أعفر ، وأصفر فاقع ، وأصفر ناصع »(٣) ثم يتحدث عن « الوُردة » فيقول : « فمنهن وُرد خالص ، ووُرد مُشاكِس ، ووُرد أغبس »(٤) ثم يتحدث عن « الشقّرة » فيقول : « فمنهن أشقر أدبس ، وأشقر مُدمى ، وأشقر أقْهب ، وأشقر أمغر ، وأشقر أفضح ... »(٥)

ثم يواصل حديثه عن بقية الألوان التي ذكرها في البداية ، فيتحدث عن الشهبة فيقول : « أما الأشهب فكلّ فرس تكون شَعَرته على لونين ثم تفرق شَعَرته فلا تجتمع من واحد من اللونين شعرات فلا تخلص بلون واحد ، كقدر الوُكنة فما فوقها ، فاذا كان كذلك فهو أشهب . واذا اجتمع من كل واحد من اللونين نُكَيتة صغيرة تخلص من اللون الآخر ، فهو « أبرش » . فاذا عظمت النُكتة فهو « مُدَنَّر » ، واذا كان في جسده بقع متفرقة مخالفة للونه ، فهو « مُلمَّع » ، وهو « الأشْيَمُ » ، فاذا كان فيها استطالة فهو « مولَّع »(٦)

---

١ ــ انظر أبو عبيدة معمر بن المثنى ص ١٠٤

٢ ــ انظر المصدر نفسه ص ١٠٥ .

٣ ــ انظر المصدر نفسه ص ١٠٦ .

٤ ــ المصدر نفسه ص ١٠٥ .

٥ ــ المصدر نفسه ص ١٠٧ .

٦ ــ انظر المصدر نفسه ص ١٠٨ .

وينتقل أبو عبيدة للحديث عن « الشيّة في الفرس » ويعرّف الشّية بقوله : « والشّيّةُ كلّ لون يخالف معظم لون الفرس » وقبل أن يتحدث عن أنواع الشّية ، يشير إلى أن الفرس الذي لم يكن فيه شيّة ، فهو بهيم ، وهو مُصْمت من أي الألوان كان . ثم يواصل حديثه عن الشيّة قائلاً : « فمن الشّية الغرّة والعرّح والرّثم والتحجيل والسعف والنبط والسبغ والشمل واللمظ واليعسوب والتّعْميم والبَلَق .(١)

ويعود أبو عبيدة ، وفق منهجه في كتابه هذا ، فيأخذ كلّ شّية من هذه الشّيات ويعدّد تأكيد ألوانها ، ثم يتناول كلّا منها بالتعريف والشرح . ونلاحظ أنه في حديثه عن شيات الخيل يكثر من ايراد الشواهد الشّعْرية . ونجد المُصنّف في ذلك كله لم يزعم أنه يقوم باستقصاء كل ما ورد عن العرب في هذه الألوان ، ونستشف هذا من أسلوبه في الحديث فيقول مثلاً : « ومن الصفرة ..... كذا ..... ومن الشية ..... ومن الغَرر ..... كذا الخ ....

وقد أحصينا ما يزيد على ثمانين لوناً ، تحدث عنها أبو عبيدة في كتابه « الخيل » ، وهو في ذلك كله يعرّفها ويحدّد دلالتها اللونية ، جاعلاً من كلّ منها لوناً مستقلاً بذاته ، مميزاً لها يدل عليه في المدى اللوني بتموجاته الدقيقة التي تنشأ عن تمازج الألوان وتداخلها . وهذا مجال واسع رحب يحتل فيه الخيال والاحساس اللغوي مكانة متميزة . والحق ، فقد أبدع الخيال العربي أيما ابداع في تحسس تداخل الألوان وتمازجها والتعبير عنها بألفاظ خاصة بها ، دالة عليها . ونلحق ببحثنا هذا قائمة بالألفاظ الدالة على الألوان وتأكيدها ، التي أشار إليها أبو عبيدة في كتابه « الخيل » .

ومما تجدر الاشارة إليه ، أنّه في أواخر الفترة الزمنية التي عاشها أبو عبيدة ، صاحب كتاب « الخيل » ، نجد أن كتاباً قد ترجم من اليونانية إلى العربية ، أو على أبعد تقدير ، ظهر في العربية منقحاً تحت عنوان « سر الخليقة وصنعة الطبيعة ــ كتاب العلل » لمؤلفه بليونس الحكيم . إذ إن الروايات ترجع ظهوره إلى عصر المأمون ،أي حوالي سنة ٢٠٠ هـ(٢).

وقد تحدث هذا الكتاب عن الألوان ، وأفرد لها مقولة خاصة تحدث فيها عن مفاهيم الألوان من الناحية العلمية . وتحت عنوان : « القول في الألوان » يورد ما يلي :

---

١ ــ انظر أبو عبيدة ص ١٠٨ .

٢ ــ انظر بليوس الحكيم ، سر الخليقة وصنعة الطبيعة ، كتاب العلل ، ص ١٣ .

« اللون هو جنس الأجناس ، وإنّما سُميّ جنس الأجناس لأنه مُقَسَّم للبياض والسواد والحُمْرة والصُفْرة والخُضْرة والأسمانجونيّ . فأما القديم من الألوان فإنّما هو اثنان : البياض والسواد ، وهما جنسان قديمان ، ومنهما تتركب الحُمْرة والصُفْرة والخُضْرة ولون السماء . ومن هذه الألوان تتركب جميع الألوان . وذلك أنه اذا اجتمع اللون الأبيض مع اللون الأسود ، فغلب الأسود الأبيض بجزء ، كان هناك لون أصفر . واذا تكاثف الأبيض على الأسود ، وتداخل الأسود في الأبيض ، كان هناك لون أحمر مشقوق ، واذا غلب السّواد البياض بدرجة ، كان هنالك لونٌ اسمانجونيّ ....»[1]

ويتحدث هذا المصنَّف عن تولد الألوان المختلفة بالتفصيل ، ويحدد تولدها من بين الأسود والأبيض والأصفر والأحمر والأخضر .[2] وفي حديثه عن تمازج الألوان يقول : « وأما الأخضر ، فإنّه يتولد بين السواد والبياض ، وذلك لأننا نرى الأخضر ممتزجاً للونين ، أعني بذلك السواد والبياض ، لأنا رأينا فيه أجزاء السواد والبياض »[3] .

ومهما يكون من القيمة العلمية للبحث عن الألوان في هذا المُصنَّف ، فإنّه يظهر لنا الاهتمام الكبير بالألوان في هذه الفترة الزمنية المبكرة من تاريخ الحضارة العربية الاسلامية . واذا كان من المرجح عندنا أن أبا عبيدة وغيره من اللغويين قد اطلعوا على هذا الكتاب ، وربما تأثروا بمنهجه في التقسيم والتصنيف ، فاننا في الوقت ذاته ، نعتقد كما هو واضح ، أنَّ دلالات الألوان في العربية عميقة الجذور ، تواكب حياة العربية في بيئاتها المختلفة ، وتساير متطلباتها الحضارية عبر تاريخها الطويل .

ومن المصادر اللغوية المهمة التي يجب أن نقف عندها ، في القرن الثالث الهجري ، « كتاب خَلْق الانسان » لأبي محمد ثابت بن أبي ثابت ، وثابت هذا من علماء اللغة في القرن الثالث الهجري . فقد تتلمذ على أبي القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤ هـ . وهو مصدر مهم من مصادر ابن سيدة في كتابه المخصّص .

فقد عني ثابت بكتابه هذا بالألوان ، فجعل باباً خاصاً بألوان الشَّعر ، وكان من مصادره الأساسية أبو عبيدة والأصمعي وابن الأعرابي . فيبدأ الحديث في « باب ألوان

---

١ — انظر بلينوس الحكيم ، سر الخليقة وصنعة الطبيعة ، كتاب العلل ص ٤٧٣ .

٢ — انظر المصدر نفسه ص ٤٧٧ .

٣ — انظر المصدر نفسه ، ص ٤٧٩ .

الشّعر » ، بقوله : قال الأصمعي .... ثم يورد قوله في الشّعر اذا كان شديد السواد .... الخ[1] .

ويفرد بابا آخر في كتابه يسميه : « باب صفات ألوان الحدقة » : ويبدأه أيضاً بعبارة : قال الأصمعي : في العين الشُّهْلة ..... ثم يورد رأي الأصمعي ... ويتحدث حديثا مستفيضا عن ألوان الحدقة[2] .

ونحن إذا تركنا القرنين الثاني والثالث الهجريين جانباً إلى القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجري ، نجد أن موضوع الألوان في العربية قد ازداد أهمية ، واتصفت الدراسات حوله بالاتساع والعمق من ناحية ، وتطور منهج البحث فيه من ناحية أخرى كي يصبح نواة لمعجم لغوي خاص بالألوان . وهذا ما نراه بوضوح متمثلا بكتاب « الملمّع » صنعة أبي عبدالله الحسين بن علي النمري ، المتوفى سنة ٣٨٥ هـ. فقد حرص المؤلف على تحديد معاني الألوان من خلال نصوص وشواهد شعرية اختار أكثرها من أشعار الفحول من شعراء الجاهلية والاسلام .

ولا شك في أن التأليف اللغوي قد عرف معاجم المعاني في عصر النّمري بل وفي العصور التي سبقته ، فكان هنالك ما نستطيع تسميته معاجم متخصصة بالخيل والابل والشاء ، كما نرى ذلك عند ابي عبيدة معمر بن المثنى وأبي زيد والأصمعي وابن قتيبة وأبي عمرو الشيباني وغيرهم . ولكننا نلاحظ أنها كانت جميعاً تجعل من أجزاء الموضوع وحدة متكاملة ، في حين أننا نجد صاحب كتاب « الملمّع » ينحو منحى آخر ، فيحاول أن يضع كتاباً خاصاً بالألوان . فيتحدث عن كل لون ومؤكداته من خلال النصوص والشواهد ، مما يضفي على منهجه قيمة خاصة ويجعله أقرب ما يكون إلى نواة معجم متكامل لألفاظ الألوان ....

وقد استهل كتابه بعد التحميد والدعاء بقوله : « إنَّ الله عز وجل خلق الألوان خمسة : بياضاً وسواداً وحُمْرة وصُفْرة وخُضْرة ، فجعل منها أربعة في بني آدم : البياض

---

١ ــ انظر ثابت بن أبي ثابت ، كتاب خلق الانسان ، ٨٥ ــ ٨٨ .

٢ ــ انظر المصدر نفسه ص ١٣٠ ــ ١٣٣ .

والسواد والحُمْرة والصُّفْرة »(١) ويتحدث عن ذلك حديثاً مستفيضاً ويورد شواهد اختيارها لفحول الشعراء(٢) ، ويصنف معجمه الصغير هذا وفق الألوان الأربعة وبالترتيب ذاته ، ويضيف إليها لون الخُضْرة .

ومما يلفت الانتباه ، أن صاحب « الملمّع » قد جعل اللون المحور الأساسي الذي تدور حوله مختلف الموضوعات . واذا كان قد اقتصر على الألوان الأربعة الرئيسية ، وأضاف اليها لون الخضرة مع استدراكه عليه بقوله : « والخضرة عند العرب : السّواد »(٣) ، فقد أوضح رأيه في بقية الألوان ، اذ يتساءل : « فإن قال قائل : فأين الغُبْرة والسُّمْرة والزُّرْقة والصُّحْمة والشُّقْرة وأشكالُهنَّ من الألوان ؟ قيل : هذه الألوان ليست نواصعَ خوالص . وكلٌّ يُردُّ إلى نوعه ، فالغُبْرة إلى البياض ، والسُّمْرة إلى السواد ، والزُّرْقة إلى الخُضْرة ، والصحمةُ إلى الصُّفْرة ، والشُّقْرة إلى الحُمْرة . والعرب عمدت إلى نواصع الألوان فأكّدتها ، فقالت : أبيض يَقَقٌ ، وأسودُ حالكٌ ، وأحمر قانىء ، وأصفَرُ فاقع ، وأخضرُ ناضر »(٤) . وقد وضع منذ البداية قواعده الأساسية في المنهج الذي اختطه . فصنّف الألوان إلى أنواع ، وسمّاها نواصع الألوان ، وكلّ نوع يشتمل على ما يسميه « تأكيد الألوان » اذ يقول : « والعرب عمدت إلى نواصع الألوان فأكّدتها . فقالت : أبيضُ يقَقٌ ، وأسودُ حالكٌ ، وأحمرُ قانىءٌ ، وأصفرُ فاقعٌ وأخضرُ ناضرٌ(٥) . وهكذا يسير في كتابه ، بل في معجمه الصغير الذي خصصه للألوان ، فيتناول كلّ نوع من الألوان ويستغرق جملة من تأكيداتها ، مورداً الشواهد الشعرية التي يختارها لفحول الشعراء .

يبدأ الحديث عن البياض ، الذي يعتبره مع السواد أكثر أنواع الألوان انتشاراً ، ويحرص دائماً على أن يكون التعريف من خلال الشواهد الشعرية التي يختارها . وهذا المنهج اللغوي يهدف إلى تعريف المصطلحات من خلال النصوص .

واذا تركنا منهجه المعجمي جانباً ، وهو منهج يستحق الدراسة والبحث ، فإنّنا نرى المصنّف يولي الشرح اللغوي والضبط في النطق أهمية كبيرة .... فيتحدث عن

---

١ ــ انظر أبو عبيدة الحسين بن علي النمّري ، كتاب الملمّع ، ص ١ .
٢ ــ انظر المصدر نفسه ص ٢ ــ ٧ .
٣ ــ كتاب الملمع ، ص ١٠٢ .
٤ ــ المصدر ذاته ، ص ٨ .
٥ ــ المصدر ذاته ، ص ٨ .

البياض ، فيورد التأكيدات التالية : أبيض يَقَقٌ ... وأبيض لَهَقٌ ... وأبيض لَيَاحٌ ولِيَاحٌ ، ومعناهنّ المبالغة فيه الثلاثة كلّهن سواء وليس لهن فعل .... وأبيضُ وابصٌ ووبّاص .... وأبيضُ دُلَمِصٌ ودُلامِصٌ ودُمَلِصٌ ودُمالِصٌ .... وأبيضُ برّاقٌ ... فَهذه كلّها سواء ، ومعناها البريق .

وإلى جانب الشواهد الشعريّة والعناية بشرح الألفاظ اللغوية الغريبة وضبطها ، يعنى المؤلف بالاشتقاق من أسماء الألوان وتأكيداتها ... وتأكيد اللون كما هو معلوم هو في حقيقة الأمر لون مميّز عما عداه .

فيورد مثلاً : أبيضُ خالصٌ وناصعٌ ... يقال : خَلَصَ يخْلُص خَلُوصاً ، ونَصَعَ يَنْصَعُ ... وأبيضُ ناصعٌ : نَصَع يَنْصَع نُصُوعاً .... وأبيضُ هِبْرِزِيّ ... وأبيضُ صَرَحٌ ..... ويعلق على ذلك بقوله : « وأظنّه اشتُق من الأمر الصريح ، واللبن الصريح ، هذا كلّه سواء ومعناه الخلوص . وأبيضُ حُرٌّ ..[1] ويقوده شرح الغريب في الشواهد إلى الوقوف عند بعض تأكيدات اللون في الخيل أو في الانسان فيقول مثلاً : الرُّثْمة : بياضٌ في الجَحْفَلة العُلْيا ، فإذا كان في السفلى فهو ألمظ .. وأبيض هجان .... ويعلق المُصَنِّفُ على ذلك قائلاً : فهذان (أي الحرّ والهجان) متساويان ، ومعناهما الكرم .....

وأبيض أبلج .... وأبيض واضح .... ويعلق المُصَنِّف قائلاً : « فهذان يتساويان ومعناهما الوضوح » .

وأبيضُ بضٌّ ... ويقال : بَضَّت تَبِضُّ بَضَاضَةً ، وهي التي كان وجهها يقطر ماء وقد تكون البَضَّة أدماء .....

وأبيضُ غضٌّ . ويقال : « غَضَّ غُضَاضة ، ولم يعرفوا له فعلاً مستقبلاً ... ومعناه النَّاعِمة .. وأبيضُ أزهرُ ..... وأبيضُ مُشرِقٌ .... وأبيضُ مُغْرِبٌ .. وهو الذي يبيضُّ سائر شعره ويَشْهَره ، وهو كثيرٌ في الناس والخيل .... وأبيضُ أمقهُ ... قال أبو رياش رحمه الله — وهو أسوأ البياض ، وهو لون الجصّ ، ومعناه الافراط ..[2] وهو في كلّ ذلك يورد الشواهد

---

١ — انظر كتاب الملمع ص ١٦ — ١٧ .

٢ — المصدر السابق ص ١٧ — ٢٦ .

ويشرح غريبها وينسبها في أكثر الأحيان إلى قائليها . وهذا المنهج الذي أشرنا إليه يلتزمه من أول الكتاب إلى آخره ، ولا يشذ عنه ألبتة ...

وهكذا يستوفي مختلف الموضوعات ، في مجال اللون الأبيض . فيتحدث عن الرجل فيقول : اذا كان الرجل أبيض فهو أَحْوَرِيٌّ .... والغُرْنُوق والغرانِقُ والغِرْنَوْق والغَرَوْنَق : الشاب الأبيض(١) ..... والأبلجُ : الأبيضُ الواسع الوجه في القِصَر والطول ..... والأَغرُّ والجَوْنُ واحدٌ . وتسمى الشمسُ جَوْنةً لبياضها ...(٢) ، ويسمى النهار جَوْناً لبياضه(٣) والجون أيضاً الأسودُ ، وهو من الاضداد(٤) ويقال : قوم غُرَّان وغُرٌّ ، وغُرَّان جمع أَغَرٌّ .... كما يقال بِيضانُ وسُودان وحُمرانُ والوضَّاحُ مثله ....(٥)

ثم ينتقل المصنّف إلى باب أسماء النساء البيض فيقول : فيهنَّ الرُّعبوبة ، وجمعها رعابيبُ .... وهنا نجد المصنف يتجاوز حدود اللون الأبيض إلى صفات الحسن في المرأة البيضاء . ثم لا يلبث أن يعود الى موضوع اللون ... فيتحدث عن الزهراء .... ثم يقول : وسُميت الزُّهْرَةُ فُعَلَةٌ ، النجمُ ، لبياضها وصفائها ... وسميت المهاة زَهْراءَ كذلك .... ويذكر من أسماء النساء البيض الغَرّاء ، والجمع غُرٌّ ..(٦) ثم ينتقل إلى باب آخر فيقول : العرب تدعو الأبيض أحمر . ويورد نصوصاً متعددة(٧) وفي باب آخر أيضاً يتحدث عن الجيش والسلاح فيقول : « فاذا كانت الكتيبة بيضاء فهي شهباء ..... ولون الحديد أشهب(٨) .

ثم ينتقل إلى الخيل ، فيعدد في مجال اللون الأبيض الألوان التالية :

فإذا كان الفرسُ أبيض ، فهو مُغْرَبٌ .. وبعد ايراد الشواهد وفق منهجه يقول : المُغْرَبُ الذي ينظرُ في بياض .... ويتابع في موضوع الخيل فيقول :

---

١ ــ كتاب الملمع ، ص ٢٧ .
٢ ــ المصدر نفسه ، ص ٢٨ .
٣ ــ المصدر نفسه ص ٢٩ .
٤ ــ المصدر نفسه ص ٣٠ .
٥ ــ المصدر نفسه ص ٣٠ .
٦ ــ المصدر نفسه ص ٣٤ .
٧ ــ المصدر نفسه ص ٣٤ ــ ٣٥ .
٨ ــ المصدر نفسه . ص ٣٤ ــ ٣٥ .

وهو أبيض بهيم .... والبهيمُ الذي لا شِيةَ به ، كانَ أبيضَ أو أدهم أو كميتاً أو أشقر ..... ويقال : ليلٌ بَهيمٌ إذا كان مظلماً لا ضوء فيه ... ثم يتابع حديثه عن الخيل فيقول : وهو صَمْتٌ وصَتْمٌ وصَموتٌ ومُصْمَتٌ ..... ويقال للداهية التي لا فُرْجَة منها : مُصمتةٌ .... ثم يقول : « وليس في خيل العرب أشهب ، والشُّهْبَةُ شِيةُ الهجين . والبياض كلّه في الخيل رقة وضعف ، وإنّما يوصف بالغُرَّة والحُجُول لحسنهما(١) .

ثم ينتقل المصنف إلى الإبل في مجال اللون الأبيض أيضاً فيقول :

فإذا كان الجملُ أبيض ، فهو حَضار (مبني على الكسر) والذكر والأنثى فيه سواء ... وهو (أي الجمل) آدمُ ، والأنثى أدْماءُ ، وكرامُ الأبل أدْمُها .....

ويذكر : أعيسُ وعيساءُ ..... والعِيس يعني بياض الشعر .... ويقول أيضاً :

وأصْهبُ وصَهْباءُ ..... ويقال : قريش الإبل صُهْبُها وأدْمُها .... وكذلك يورد : نواعج ناعجات ... وأيضاً هجان للذكر والأنثى والجمع .... ثم يورد المصنف قول ابن السِّكّيت : « الصهباءُ الناقة البيضاء يخالط بياضها حُمْرةٌ ، تحمرُّ ذفاريها وعنُقُها وكَتِفاها وذِرْوتُها وأوظِفَتُها ، ويبيضُّ سائرها . فإذا أفرط بياضُها فهي صهباءُ لَياحٌ . وإذا صَدَق لونُ البعير فلم يخالطْهُ صُهْبةٌ فهو آدم ، إلا أنه أسودُ الحماليق . والأدمة في الناس السُّمْرةُ ، وفي الإبل البياض(٢) .

ثم ينتقل المؤلف إلى النعجة والظباء فيقول : فإذا كانت النعجة بيضاء العِيَنة فهي عَيْناءُ ، والجمع عِينٌ ..... ويقال : العِينُ : الكبار الأعيُنُ ..... وإذا كان الظبيُ أبيضَ فهو بهيم ، والجمع آرامٌ .... ويقال : الآرام ضأنُ الظباء . والعفر مُعْزاها ، والأدْمُ إبلُها(٣).

ثم يتحدث عن الحيّة فيقول : فاذا كانت الحيّةُ أبيضَ فهو الحُرُّ ... قال أبو حاتم : الحُرُّ حيَّةٌ أبيض مثل الجانّ ، والجانُ في هذه الصفة . وأهل الحجاز يسمونه الأيْم ، وبنو تميم تُسمّيه الأيْن ـــ وأصله التشديد(٤) .

---

١ ـــ انظر المُلمّع ص ٣٤ ـــ ٤٠ .

٢ ـــ انظر المصدر ذاته ص ٤٠ ـــ ٤٥ .

٣ ـــ انظر المصدر ذاته ص ٤٥ ـــ ٤٦ .

٤ ـــ انظر المصدر ذاته ص ٤٧ .

ثم ينتقل إلى السماء فيقول : فاذا كان السّحابُ أبيض فهو أغَرُّ ، والسحابةُ غراءُ .... الصَّبير سحابٌ أبيض .... وهو الحُرُّ .... وهي الغَمَامَةُ . ويقال : الغمامةُ كالسحابة في أي لونٍ كانت ..... والصهباءُ : البيضاءُ ... الجهام : السّحابُ الذي لا ماء فيه . وهو الأقمرُ .... وبعد ايراده الشواهد على عادته يقول : الأقمرُ : لون يشبه الرَّماد ..... ثم يتحدث عن أنواع السحاب وشواهدها اللغوية خارج حدود اللون [1] ....

وفي حديثه عن الأرض وموضوعاتها يقول : فإذا كان الجبلُ أبيض ، فهو أعبلُ ..... وإذا كانت الصخرة بيضاء فهي عبلاءُ .... وإذا كان الحصى أبيضَ فهو مَرْوٌ ، والواحدة مَرْوَة[2] .

وإذا كانت الكمأة بيضاء ، فهي فَقْع وَفِقْعَةٌ ..... وواحد الكَمْأة كَمْءٌ ... وإذا كان العَسلُ أبيضَ ، فهو ضَرَبٌ .... وهو الماذيُّ .... ويقال : الماذيُّ : العَسَلُ اللَّيِّنُ .. وإذا كان العنبُ أبيض ، فهو مُلاحيٌّ .... وإذا كانت الخمرة بيضاء فهي صَهْباء ... وإذا كانت الوَرْدَة بيضاء فهي وَثِيرةٌ .... وبعد ايراد الشاهد يستطرد المصنف عائداً إلى موضوع الخيل فيقول : والقُرْحَةُ : البياض في جبين الفرس كالدرهم ، فإن زاد على ذلك ، فهو غُرَّة . والمَغْدُ : أن لا يكون في وجه الفرس قُرْحَةٌ ، فَيُنْتَفُ الشَّعَرُ فيخرجُ أبيض .... وينهي المصنف بحثه في هذا الموضع بقوله : تَمّ ذكرُ البياض ، ولله المنة .

ومن هنا نرى أن المصنف اتبع منهجاً محدّداً ، وجعل من أنواع الألوان تحاور للموضوعات التي يحاول اختيار أهم ألوانها ، دون استقصاء ، أو ايجاز مخل ، كما ذكر ذلك في مقدمته .

ويسير المصنف على هذا المنوال من منهجه . ففي الحديث عن السواد يذكر تأكيدات الألوان التالية :

يقال : أسودُ حالكٌ وحانِكٌ . وهو أشدُّ سواداً من حَنَكِ الغُراب ومن حَلَكِهِ . فحلكُه سوادُه ، وحنكُهُ : منقاره .....

---

١ ــ انظر كتاب الملمّع ص ٤٨ ــ ٥١ .

٢ ــ انظر المصدر ذاته ص ٥٢ ــ ٥٤ .

يقال : حَلَكَ يحلُك حُلوكاً . وحَلِكَ يَحلَكُ حَلَكاً . ويقال لِلَّيلةَ السّوداء : الحُلَّكَة .. وقيل لأعرابي : تقول مثل حَلَكِ الغُراب أم حَنَكِهِ ؟ فقال : لا أقول مثلَ حَلَكِهِ أبداً . وأسودُ ـــ مُحْلَنْكِكُ ، واحْلَنْكَكَ الشيء يَحْلَنْكِكُ احلِنْكاكاً .

وأسودُ مُحْلَوْلِك ، واحْلَوْلَكَ يَحْلَوْلِكُ احليلاكاً ـــ افعوعل من حالك ـــ وأسودُ مُسْحَنْكِكٌ ، واسْحَنْكَكَ يَسْحَنْكِكُ اسحِنْكاكاً ـــ افعَنْلَكَ من حانِكٍ ـــ وأسودُ حُلْكُوكٌ وحَلَكُوك .

وأسودُ حُلْبُوب .

وأسودُ غربيب والجمعُ غَرابيبُ .

وظِلُّ الحجرِ أسوَدُ .

وأسودُ غَيهَمٌ وغَيْهَبٌ .

وأسودُ سُحْكوكٌ .

وأسودُ فاحِمٌ : أي كلون الفَحْمِ .

وأسودُ غُدافٌ .

وعِبْلِمُه (أي الليل) سوادُه .

وأسودُ دَجُوجيٌّ ودَجاجيٌّ .

وأسودُ غرابيٌّ كلون الغراب .

وأسود حُذاريٌّ .

وأسودُ مُدْهامٌّ ومُدْلَهِمٌّ .

وأسودُ يحموم .... وسُمّي الدُّخانُ يَحْموماً لِسَوادِهِ ....

ثم ينتقل إلى الحديث عن أسماء الرجال والنساء السود فيقول :

منهم الأدعجُ ، وهو الشابُّ الشديدُ سوادِ الشّعرِ . وامرأة دَعْجاءُ . والدَّعَجُ في العين ، شدّة سوادها .

والجَوْنُ ، وسمي النَّمِرُ أبا الجَوْن للسَّواد الذي فيه .

ومنهم أيضاً :

الدُّحامسُ والدُّحْمُسانِيُّ والدُّحْمُسُ ،

والحِمْحِمُ ،

والأَحْوَى ،

وهو الحَلْكَمُ .

ومنهم أيضاً :

الأَدْغَمُ والدُّغْمانُ والأَحَمُّ الأَسْفَح والأَكفَحُ والأَصْدأ ، والأَسْحَمُ ، والحَنْكَلَةُ : السوداءُ القصيرةُ .

فإذا كانت الكتيبة سوداء فهي جأواءُ .والجَوْءَةُ لون صدأ الحديد .

وهكذا يتابع المصنف منهجه في الحديث عن مختلف الموضوعات في حدود اللون فيقول :

فإذا كان الفرسُ أسودَ ، فهو أدهم ..... وملوكُ الخيل دُهْمُها ..... فإذا كان الجملُ أسودَ ، فهوَ جَوْنُ ..... والجمعُ : جُونٌ .

ويروي المصنِّف أنه قيل لابن لسان الحمَّرَة ، وهو خطيبٌ نَسَّابة بليغ . أَخْبِرْنا لغة عن الإبل . فقال : حُمْراها صُبْراها ، وعيسُها حُسْناها ، ووُرقُها غُزْراها ، ولا أبيعُ جَوْنةً ولا أشهَدُ مَشْراها ....

وسُمِّيت الحَمَام وُرْقاً لِوُرقيتها .

وهو (أي الجمل) أظْمى والجمعُ ظُمِيٌّ .

ثم ينتقل إلى موضوع الضأن فيقول :

فاذا كانت الضّأن سوداً ، فهي لابة تُشبَّه بالحَرَّةِ .

فإذا كان الكَبْشُ أسود ، فهو أمْلَحُ .

ثم ينتقل إلى موضوع القطا فيقول :

فاذا غلب السوادُ على القطا فهو جُونيٌ ، الواحدة جُونِيَّةٌ .

ثم إلى العقاب فيقول :

فاذا كانت العقاب سوداء فهي خُدارِيّةٌ .

ثم إلى الحيّة فيقول :

فاذا كان الحيّة أسود ، فهو حَنشٌ . وبعد ايراد الشاهد ، يعلق المصنف قائلاً : « ويقال لجميع دواب الأرض أحناش ، كالضبِ والقنفُدِ واليربوع . ثم خُصَّ به الحيّة ، ثم ينتقل المصنف إلى موضوعات السحاب والمطر ، فيقول :

فاذا كان السّحابُ أسودَ فهو ربابٌ .

وهو (أي السحاب الأسود) الأسحمُ .

والجَوْنُ الجَوْنِيّ .

وهو (أي السحاب الأسود) الأحمُّ .

ثم ينتقل إلى موضوع الأرض فيقول :

فإذا كان الجبل أسود فهو ظَرِبٌ ، وجمعه ظِرابٌ . وهي جبال صغار وهو (أي الجبل الأسود) القارَةُ والجمعُ قارٌ وقُورٌ . والقَارَةُ : جُبَيْلٌ صغير أسود منفرد ، ليس حوله شيء ، وله طولٌ في السماء .

فاذا كان الحصى أسود فهو حَرَّةٌ . والجمعُ حِرارٌ .

وهي (أي الحَرَّة) اللَّابةُ واللُّوبَةُ وجمعها لابٌ ولُوب . وتجمعُ الحَرّة حَرّات وأحَرِّين .

والعَرَبُ تُسمِّي الأسودَ أخضَر[1] .

ويورد النَّمري في باب الحُمْرة ما يلي :

يقال : أحمرُ قانِئٌ ، وقد قَنَأ يَقنأ قُنوّاً (في المعاجم قنوءاً بالهمز) وأحمرُ عَضْبٌ ..... ويقال : للصَّخرة الحمراء : عَضْبَةٌ . قال ابن الأعرابي :

---

١ ــ انظر الملمّع ، ذكر السواد ص ٦٠ ــ ٨٤ .

من ها هنا قيل للأحمر : غَضْبٌ .

وأحمر عاتِكٌ .

وأحمرُ وَرْدٌ .... والوردُ الخالص .

وأحمرُ فاقِعٌ وفُقاعيٌّ . ويُقالان في الصُّفرةِ .

ويقال في الألوان كلِّها : فاقِعٌ وناصعٌ ، إذا خَلَصَ وصفا .

وأحمرُ مُدمًّى .

وأحمرُ باحِريٌّ وبَحْرانيٌّ .

وأحمرُ كَرِكٌ .

وأحمرُ قاتِمٌ .

وأحمرُ ناكِعٌ .

ويقال لكلّ أحمرَ إضْريجٌ ..... والإضريجُ : صِبغٌ أحمرُ . ويقال لكل أحمر إضْرِيجٌ وجِرْيال وَعَنْدَمٌ .

وأحمرُ سِلّغَدٌ ، وهو المُقشَرّ حُمْرةً .

ثم ينتقل إلى مختلف الموضوعات ، وفق الترتيب الذي تناوله في الحديث عن الألوان السابقة فيقول :

فإذا كان الرجل أحمر فهو أشقر ، والشّقرة عند العرب عَيْبٌ .

والأقْشَرُ : الأحمرُ الذي ينقشرُ وجهه ، وهو لون قبيح .

فإذا كان الفرسُ أحمر فهو أشقرُ . وشُقْرُ الخيل : ديباجُها . وقد سمّاه بعضهم أحمر ..... فإذا خَلَصَتِ الشُّقْرة فهو وَرْدٌ .... والجمعُ وِرادٌ فإذا زادت حُمْرته وسَبَغَتْ فهو كُمَيْتٌ .....

فإذا كانت الناقة حمراء فهي كُمَيْتٌ .... وهي حمراءُ .

فإذا كانت النعّجة حمراء فهي الدَّهَمَةُ .

فإذا كان الجبلُ أحمر فهو هَضْبَةٌ .

فإذا كانت الأرض حمراءَ الحصى فهي خَشْرَمَةٌ .

فإذا كان الكمءُ أحمرَ فهو جَبْءٌ وثلاثةٌ اجْبُوءٌ ، وهي الجِبَأةُ وجمعها جِبَأ .

فإذا كانت الحمرةُ حمراء فهي كُمَيْتٌ . وهي الجِرْيالُ . قال الأصمعي : الجِرْيالُ تكون الحُمْرة بعينها ، ويكون الصبغ الأحمرُ[1] ....

ثم ينتقل صاحب الملمّع إلى الحديث عن لون الصُّفْرة ، فيقول :

يقال : اصفر فاقِعٌ وفُقاعيٌّ .... ولا يُقال فاقِعٌ الا للأصفر . فمن قال أسودُ فاقِعٌ فهو كمن قال : أبيضُ حالِكٌ .

وأصفرُ وارسٌ .

فإذا كانت الحنظلةُ صفراءَ فهي صَرايَةٌ[2] .

ثم ينتقل المؤلف إلى الحديث عن الخُضْرة ، ولم يخصص له سوى صفحتين اثنتين ، وذلك لأنه لا يراه في حقيقة الأمر نوعاً مستقلاً من الألوان ، وذلك للتمازج الذي صار بين الخُضْرة والسواد .... فيقول في باب الخُضْرة :

يقال أخضرُ ناضرٌ . وقد نَضَرَ يَنْضُرُ نَضَارة ...

وأخضرُ باقِلٌ .

وأخضر حانِىء . يقال : حَنَأتِ الأرضُ تَحْنأُ حُنُوّاً : إذا اخضرَّتْ والتفَّ نبتُها .

وسُئل أعرابي عن القُرّاصةِ فقال : هي عُشْبَةٌ لها نَوْرٌ أصفرُ . وهي نحوُ الأقحوانِة حانئةُ الخُضْرةِ أي شديدة الخُضْرةِ .

وأخضرُ زاهر .

وأخضرُ مُدْهامٌّ .

فإذا كانت الأرض خضراء فهي مُخْلِسَةٌ ومُستَخْلِسَةٌ ، فإذا تفرقت الخُضْرةُ ها هنا وها هنا فهي نُقَأٌ .....

---

١ ــ انظر الملمع ، باب الحمرة ص ٨٥ ــ ٩٦ .

٢ ــ انظر الملمع ، باب الصفرة ، ص ٩٧ ــ ١٠٠ .

والخُضْرة عند العرب : السوادُ . وسُمِّي سواد العراق سواداً لكثرة خضرته[1] وبذلك ينهي النمَّريُّ كتابه الذي وسمه بالملمَّع ، وقد جعله وقفاً على الألوان . والألوان في أنواعها عنده خمسة ، جعل الله سبحانه وتعالى أربعة منها في بني آدم وهي : البياض والسوادُ والحُمْرة والصُفْرة . أما اللون الخامس فهو الخُضْرة ، ولم يعره اهتماماً كبيراً في تصنيفه هذا ، وربما نجد تفسير ذلك فيما نصّ عليه ، منذ البداية ، إذ يقول : « الخُضْرة عند العرب السَّواد »[2] .

وإنَّ تصنيف الألوان الذي اتبعه النمَّريُّ ، يترجم هذه النظرية التي جعلت من ألوان الانسان ، إلى حد كبيرٍ أساساً لأنواع الألوان ، وإنَّ المدى الذي يفصل بين كلّ نوع من الألوان حيث تتموج فيه ألوان يصعب حصرها ، يطلق على ذلك عبارة : تأكيد اللون . وعلى هذه الشاكلة يفسح المجال في العربية امام أسماء ألوان لا يحدها الا مدى الاحساس المرهف في تميز الألوان ، والخيال الواسع في تصوير مزج هذه الألوان وتداخلها ..... وعلى الرغم مما أشار اليه النمَّريُّ منذ البداية ، فإنَّه لم يقم باستقصاء ألفاظ الألوان ، فقد أحصينا في كتاب الملمّع أكثر من مئة وأربعين لفظة دالة على ألوان مختلفة .

وفي القرن الخامس الهجري ، وقد بلغت الحضارة العربية الاسلامية ذروتها لا بدّ لنا من أن نقف عند مصنفات ثلاثة عنيت بألفاظ الألوان وأنواعها عناية خاصة وهي وفق الترتيب الزمني :

١ ــ كتاب مبادي اللغة ــ مع شرح أبيات مبادي اللغة ــ للشيخ الامام ابي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي (المتوفى سنة ٤٢١ هـ) .

٢ ــ كتاب فقه اللغة وسرّ العربية ، تأليف الامام اللغوي أبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) .

٣ ــ كتاب المخصّص تأليف أبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي ، المعروف بابن سيدة (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) .

---

١ ــ انظر الملمّع ، ص ١٠١ ــ ١٠٢ .

٢ ــ انظر المصدر نفسه ص ٢ .

فقد خصص الاسكافي في كتابه مبادي اللغة ، باباً سماه « باب ألوان الخيل » ، تحدث فيه عن البهيم والمُصْمَت من حيث إنهما تطلقان على كل ذي لونٍ واحد لا شية فيه ، ما خلا الأشهب ، فانه لا يقال له « بهيم » وقد يقال له مُصْمتٌ .

ثم يبدأ الحديث عن ألوان الخيل ، ويحصرها في ثمانية ألوان نوعية هي : الدُّهْمُ الحُوُّ ثم الخُضْرُ والكُمْتُ والوِرَاد والشُّقْر والصُّفْر والشُّهْبُ .

ثم يفَصِّل الحديث عن الألوان الفرعية في مجال كل لون من هذه الألوان الرئيسية ، فيذكر في مجال الدُّهم ستة ألوان ، وفي مجال الحُوِّ أربعة ألوان وفي الخُضْر أربعة ألوان ، وفي الكُمْتِ يذكر سبعة ألوان ، وفي الوِراد ثلاثة ، وفي الشُّقْر سبعة أيضاً ، وفي الصُّفْر يذكر أربعة . ويحرص على تعريفها جميعاً وتبيان درجتها في اللونية .

وفي باب الشيات ، يتحدث بدقة وايجاز عن الشيات والأوضاح ، فيسرد طائفة كبيرة من ألفاظ الألوان التي تعد من شيات الرأس ومن شيات الناصية ومن شيات الوجه ، ويفرد باباً خاصاً بالبَلَقِ وآخر بالتحجيل[1] .

أما الثعالبي ، في كتابه « فقه اللغة وسرّ العربية » ، فقد توسع في الحديث عن الألوان ، ولم يخرج عن الموضوعات الرئيسية فيما يتعلق بالانسان والحيوان والنبات ، وكان يقتصر على حدّ تعبيره ، على أشهر الألفاظ وأسهلها . فخصص الباب الثالث عشر من مصنفه للحديث عن الألوان ، وسماه : « في ضروب من الألوان والآثار » ، وجعل هذا الباب في فصول . فكان الفصل الأول « في ترتيب البياض » ، والفصل الثاني : في تقسيم البياض واللغات ، وفيه كثير مما يُوصف به ، مع اختيار أشهر الألفاظ وأسهلها . وكان الفصل الثالث في « تفضيل البياض » ، والفصل الرابع في « بياض أشياء مختلفة » ، والفصل الخامس جعله فيما يناسب البياض . وفي الفصل السادس تحدث عن « ترتيب البياض في جبهة الفرس ووجهه » ، وجعل الفصل السابع « في بياض سائر أعضائه » ، أي الفرس ، كما يأخذه عن الأئمة . والفصل الثامن أورد فيه ما هو معتمد في دواوين الدولة من

---

١ ــ انظر : كتاب مبادي اللغة مع شرح أبيات مبادي اللغة للشيخ الأمام ابي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي (المتوفى سنة ٤٢١هـ) ، عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين التعساني الحلبي ، مصر ، ١٣٢٥هـ ، ص ١٢٣ ــ ١٣٠ .

الألوان والشيات التي تميز بها الخيل ، فجعله تحت عنوان : « فصل يتّصل به في تفصيل ألوانه وشياته على ما يستعمل في ديوان العرض » . والفصل التاسع : « في ألوان الإبل » ، والفصل العاشر في « ألوان الضّأن والمعز وشياتها (كما يرويه عن أبي زيد) ، وجعل الفصل الحادي عشر في « ألوان الظباء » (كما يأخذه عن الأصمعي وغيره) . وجعل الفصل الثاني عشر تحت عنوان : « في ترتيب السّواد على الترتيب والقياس والتقريب » .

والفصل الثالث عشر : في « ترتيب سواد الانسان » ، والفصل الرابع عشر : « في تقسيم السّواد على أشياء توصف به مع اختيار أفصح اللغات ، والفصل الخامس عشر جعله تحت عنوان : « في سواد أشياء مختلفة » ، وكذلك جعل الفصل السادس عشر ، وسمّى الفصل السابع عشر « في لواحق السواد » ، والفصل الثامن عشر « في تقسم السّواد والبياض على ما يجتمعان فيه »..... والفصل التاسع عشر « في تقسيم الحمرة » ، والفصل العشرين جعله في « الاستعارة » ، مثال ذلك قوله « عيش أخضر . وموت أحمر ، ونعمة بيضاء ، ويوم أسود ، وعدو أزرق » .

وجعل الفصل الحادي والعشرين « في الاشباع والتأكيد » مثال ذلك : أسود حالك أبيض يقق ، وأصفر فاقع ، وأخضر ناضر ، وأحمر قانىء » وجعل الفصل الثاني والعشرين « في ألوان متقاربة » كما يأخذه عن الأئمة ، والفصل الثالث والعشرين « في تفصيل النقوش وترتيبها » مثال ذلك : النّقش في الحائط ، الرّقش في القرطاس ، والوشي في الثوب ، والوشم في اليد ، والوسم في الجلد ، والرّشْمُ في الحنطة أو الشعير ، والطبع في الطين والشمع ، والأثر في النصل[1] .

فإن كان الثعالبي قد عني عناية كبيرة في تحديد معاني الألفاظ الدالة على الألوان في هذا الباب من كتابه النفيس ، فقد حرص على اختيار أشهر الألفاظ وأسهلها في هذا المجال ، مما جمعه من المصادر السابقة وأخذه عن أئمة اللغة ، مع حسن ترتيب وايجاز يتصف بالدّقة والوضوح . ومن ناحية أخرى ، فقد وضع بين أيدينا قائمة لسمات الخيل وألوانها المعتمدة في دواوين الدولة . فجعل الفصل الثالث ، كما أشرنا سابقاً ، فيما « يتصل به (أي الفرس) في تفصيل ألوانه وشياته على ما يستعمل في ديوان العَرْض » .

---

١ ــ انظر : فقه اللغة وسر العربية ، تأليف الامام اللغوي أبي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي ، ص ٩٠ ــ ١٠٠ .

إن هذه الاشارة مهمَّة جداً ، إذ توضح لنا أن هنالك ديواناً خاصّاً « بالعرض » يسجل فيه كل فرس ، لغرض الاحصاء والعطاء والنفير ولتسيير الجيش في وظائف الدولة .... ولا شك أن هذا الوضع يفسر لنا إلى حد كبير الاهتمام بدقائق الألوان والألفاظ الدالة عليها .

وفي هذا العرض الشامل للألوان في اللغة العربية من خلال هذا التراث الخصب ، لا بُدّ لنا من التوقف عند كتاب مهم من كتب التراث ، ومصدر لغويّ معجمي جعل الموضوعات العامة أساساً في تصنيف مواد اللغة وترتيبها وهو : كتاب « المخصَّص » تأليف أبي الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيدة (المتوفى سنة ٤٥٨ هـ) .

تحدث ابن سيدة في السفر الأول من كتابه الموسوم « المخصص » عن « صفات ألوان الحدقة »[١] . وفي منهجه يورد آراء أئمة اللغة وفق الموضوعات التي جعلها أساساً لترتيب معجمه . مثال ذلك ، أنه جعل « ثابتاً » مصدره الأساس يقول : « ثابت (أي عنه) في العين الشَّهل ، والشُّهلة ــ وهو أن تُشرب الحَدَقةُ حُمْرةً ليست خُطُوطاً كالشعلة ، ولكّنها قلّة سواد الحدقة حتى كأنَّ سوادها يَضْرب إلى الحُمْرة . وقد شَهِل الرجلُ شَهَلاً وأشْهَل فهو أشْهلُ والانثى شَهْلاءُ . وأنشد :

كأنّي أشهل العينين بازٍ على علياء شبه فاستحالاَ

يقول ابن دريد : هو ــ أقلّ من الزَّرق[٢] ...

وفي السفر الأول أيضاً يتحدث عن « ألوان الشفة »[٣] وفي السفر الثاني يفرد للألوان بحثاً خاصّاً ، فيورد آراء أئمة اللغة في تعريف اللون ، فيبدأ بذكر رأي ابن دريد ، حيث يقول : لون كلّ شيء ، ما فَصَل بينه وبين غيره ، والجمع ألوان ، وقد تلوَّن ولوّنته .... ويورد أقوال ابي عبيدة والفارسي وابن جنّي وابن السِّكّيت وصاحب العين ..... وربما أشار

---

١ ــ انظر المخصص السفر الأول ص ٩٩ ــ ١٠٠ .

٢ ــ انظر المخصص السفر الأول ص ٩٩ .

٣ ــ انظر المخصص ، السفر الأول ، ص ١٤٢ ــ ١٤٣ .

ابن سيدة إلى تعريف الألوان الذي يورده كتاب سرّ الخليقة وصنعة الطبيعة .... دون أن يشير إلى المصدر ويذكره بصورة مبهمة حيث يقول :

« وقالوا (أي في تعريف الألوان) السواد والبياض . قال الفارسي :

ومثّلوا بهما طرفي النهار ، فقالوا : الصَّباح والمساء ، لانّ الصَّباح وضح ، والمساء سواد[١] . وهذا يجمل الرأي الذي يقول : فأما القديم من الألوان فانما هو اثنان : البياض والسواد ، وهما جنسان قديمان[٢] .

وبعد تعريف الألوان ، يتحدث ابن سيدة عن السواد والبياض واختلاط الألوان في الصُّهْبَة والحُمْرة والشُّقْرة والصُّفْرة والخُضْرة والزُّرق .... والدَّخلة في اللون هو تخليطٌ من ألوان في لون ..... والبَرَشُ والبُرْشة والنَّمش . وقد نَمِشَ نَمَشاً فهو أنْمشُ والانثى نمشاءُ[٣] ....

وفي السفر الرابع يتحدث ابن سيدة عن « ألوان اللباس »[٤] وفق منهجه الذي أشرنا إليه ، وفي السفر الخامس يتحدث عن : « تَغَيُّر اللون من المرض واليُبْس » . فيذكر مختارات منه[٥] ، وفي الجزء السادس ، يفرد بحثاً مطولاً عن « ألوان الخيل »[٦] ، وكذلك يفرد في السفر السابع بحثاً خاصاً عن « ألوان الابل »[٧] ، ويتحدث أيضاً في السفر نفسه عن « شيات الضأن ونعوتها »[٨] وفي الجزء الثامن يتحدث عن « نعوت الظباء من قبل ألوانها »[٩] .

---

١ ــ المخصص ، السفر الثاني ، ص ١٠٤ .

٢ ــ سر الخليقة وصنعة الطبيعة ، ص ٤٧٣ .

٣ ــ المخصص ، السفر الثاني ص ١١٠ ــ ١١١ .

٤ ــ المخصص ، السفر الرابع ، ص ٩٥ ــ ٩٦ .

٥ ــ المخصص ، السفر الخامس ، ص ٧٢ ــ ٧٣ .

٦ ــ المخصص ، السفر السادس ص ١٥٠ ــ ١٥٧ .

٧ ــ المخصص ، السفر السابع ص ٥٥ ــ ٥٧ .

٨ ــ المخصص ، السفر السابع ، ص ١٩٢ ــ ١٩٥ .

٩ ــ المخصص ، السفر الثامن ، ص ٢٥ ــ ٢٦ .

وكذلك يتحدث في السفر الثامن عن « ألوان البقر »[1] وفي السفر ذاته يتحدث أيضاً عن « ألوان الحمر »[2] .

وهكذا فقد استفاد ابن سيدة الأندلسي من جميع المصنفات التي سبقته ، فأسدى إلى العلم خدمة كبيرة في ايراد الآراء المختلفة ، مَعْزُوَّةً في معظم الأحيان إلى أصحابها . ولا شك في أن المخصص مصدر لغويّ أساسي ، وهو أيضاً مصدر مهمّ في مجال الألفاظ الدالة على الألوان المختلفة . وقد رأينا في كتاب « المخصص » أن الألفاظ الدالة على الألوان قد صنفت وفق الموضوعات العامة التي تكوّن المحاور الرئيسية للمنهج الذي اختطه ابن سيدة في معجمه هذا . إنَّ معجم ابن سيدة الاندلسي ، الذي وضع في حوالي منتصف القرن الخامس الهجري ، يبين لنا مدى ما بلغته الدراسات اللغوية في الأندلس بصورة عامة ، والتأليف المعجمي بصورة خاصّة . وإنَّ أهمية كتاب « المخصص » ناشئة من كونه أول معجم للمعاني متكامل بالعربية . ومن هذا المنطلق ، كانت عنايته بالألفاظ الدالة على الألوان .

ومما تجدر ملاحظته ، أن من أهم مصادرنا اللغوية في تتبع ألفاظ الألوان ، المعاجم العربية والمصنفات التي كتبت عن الخيل . ولا شك في أن العناية الفائقة في وضع المصنفات عن الخيل ، وتحديد أسمائها وصفاتها وألوانها ، تنم عن الأهمية الكبيرة التي تحتلها الخيل في حياة العربي ، وفي أسلحة الجيش في الدولة الاسلامية ، حيث أصبح هنالك ديوان خاص يسمى « ديوان العَرْض » . وفي هذا الديوان تحدد ألوان الخيل وصفاتها المميزة بدقة متناهية .

وربما كان من أجل الكتب في هذا الموضوع في القرنين السابع والثامن الهجريين ، في الأندلس كتاب « الخيل مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال » ، تأليف عبدالله بن محمد بن جُزّي الكلبي الغرناطي ، من أهل القرن الثامن الهجري .

ويقول محقق الكتاب ، الأستاذ محمد العربي الخطابي : « هذا كتاب من التراث العلمي الأندلسي ... سماه مؤلفه أبو محمد عبدالله بن محمد بن جُزّي الكلبي الغرناطي :

---

١ ــ انظر المخصص ، السفر الثامن ، ص ٤٠ .

٢ ــ المخصص ، السفر الثامن ص ١٤٨ .

« مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال واستدراك ما فاته من المقال » .... فهو اذن انتقاء من كتاب آخر سبقه ، وتهذيب له واضافة عليه واسمه : « كتاب الاحتفال في استيفاء تصنيف ما للخيل من الأحوال » ، ألفه أبو عبدالله محمد بن رضوان بن أرقم الوادي آشي ... جمعه لأبي عبدالله محمد الغالب بالله بن يوسف (٦٣٥ ــ ٦٧١هـ) ، مؤسس دولة بني الأحمر النصرية[١] .

وقد فصّل المصنف في هذا الكتاب ألوان الخيل وبيّن الشيات والأوضاح والغُرر والتحجيل والدوائر ، وما يستحب من ذلك وما يكره ، مستشهداً بأقوال الرواة وعلماء اللغة والشعراء .

يتحدث ابن جُزّي في باب الألوان ، عن ماهية اللون فيقول : قال المؤلف (يعني ابن أرقم الوادي آشي) ، رحمه الله ، اللون هيئة كالسواد والبياض وما يتركب بينهما ، والجمع : الألوان ... « وبعد أن يورد حديث المؤلف ، يعلق عليه قائلاً : قلت : « الألوان ، وإن كثرت أصنافها وتعددت أنواعها ، ترجع إلى قسمين : القسم الأول : الألوان الأصلية ، والقسم الثاني : الألوان الفرعية ، المركّب بعضُها من بعض .....[٢]

وفي رأي ابن جُزّي ، أن الألوان الأصلية خمسة وهي : البياض والسواد والحمرة والصفرة ، والخضرة . وأما الألوان الفرعية المركب بعضها مع بعض ، فهي ما عدا ذلك . ونلاحظ تسميات جديدة لألوان مركبة ، لم نعهدها في المصنفات السابقة ، فهنالك : اللون الزَّبيبي ، والنارنجي .... الخ حيث يقول : « الأزرق مثلاً فانه مركب ما بين السواد والبياض ، وكاللون الزبيبي ، فانه مركب ما بين السواد والحُمْرة ، وكالنارنجي ، فانه مركب ما بين الحمرة والصفرة إلى غير ذلك ...[٣]

ثم يتحدث عن الألفاظ التي تعني استحكام الألوان الأصلية وتمكنها ، فيقول : أبيض ساطع ، وأسود حالك ، وأحمر قانىء ، وأصفر فاقع ، وأخضر ناضر ، وأن هذه الألفاظ تابعة للألوان الأصلية دون الألوان الفرعية .

---

١ ــ عبدالله بن محمد بن جُزّي الكلبي الغرناطي ، كتاب الخيل ، مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال ، ص ١١ .

٢ ــ ابن جزي ، كتاب الخيل ، ص ٤٩ .

٣ ــ ابن جزي ، كتاب الخيل ، ص ٤٩ .

ثم يتابع الحديث عن « أفضل الألوان كلها وأشرفها » ، فيذكر لون الخضرة ، في غير الخيل ، وأما في الخيل فيتحدث عن الشقر ، والكُمْتِ ، والكميت الأحمّ والدُّهم ، ثم يستطرد المؤلف في الحديث عن الألوان إلى أن يقول :

« فهذه نبذة كافية من بديع ما قيل في وصف تلك الألوان الثلاثة المعتمدة ، ولو تتبعت ما على حفظي مما قيل في ذلك ، لطال القول وخرج بنا عن القصد ...[1] ثم يعود المؤلف إلى موضوعه فيقول : فنعود إلى ما قصدنا من تفصيل ألوان الخيل ونعوتها وتمهيد أقسامها العشرة المترجمة وفروعها باباً باباً ولوناً لوناً .. فيبدأ بباب الشقرة ، فيذكر الأشقر والخلوق والمُدمّى والأدْبَس والأمْغَر والأفضح والأصبح والأقهب .

ثم ينتقل إلى باب الدُّهمة ، فيذكر الأدهم والجَوْن والاحَم والأكهب والأحوى والأصبح من الدهم ، والغَيْهبيّ والدَّجوجيّ .

ثم ينتقل إلى باب الكُمْة ، فيذكر الكميت ، والأحم من الكُميت ، والأحوى ، والاصحم والمُدَمَّى من الكُمت والمُذْهَب والكميت الأحمر والمُحلف ، والكُميت الأكْلف ، والكُميت الأصدأ .

ثم ينتقل إلى « باب الوُرْدَة » فيتحدث عن : الوَرْد ، والمُصامِص ، والوَرْد الأسود والأغْبس (وهو الذي تسميه الأعاجم السَّمَنْد) .... وقيل الغُبْسَةُ : بياضٌ فيه كُدْرة كلون الذئب ، والغُثْرة في الألوان شبيهة بالغُبْسَةُ يخالطها حُمْرة ..... ويقال لهذا الأغْبس من الدواب الأدلم ، قالوا : والغبسة مثل الدُّلْمة ، وقيل في الأدلم إنَّه الأسود .

ثم ينتقل إلى باب الخُضْرة وما شاكلها . فيتحدث عن الخُضْرة أنها لونُ الأخضر من الزرع والعشب وغيره ، والخضرة هي السواد في قول بعضهم ، ثم يتحدث عن الأخضر الدَّيْزَج (وقد تسميه العرب الأدغم أيضاً) .... وكذلك عن الأحم من الخيل الخُضْر ، والأحوى من الخُضْر والاصحم من الخيل ، والاطحل من الخيل ، والأورق من الخيل ، والأطخم من الخيل ، والدَّيْزَج من نعوت الخُضْر وهو فارسي معرب ، والأربد من الخيل ، والأخضب ، والأرمد والطُّلسة .

---

١ ــ انظر المصدر السابق ص ٤٩ ــ ٥٦ .

ثم ينتقل إلى باب الشُّهْبة ويتحدث عن الحديديّ ، والخَلَجوني ، والاشهَب الأحم بسواد ، والأشهب الأحم بحمرة ، والأشهب الكافوري ، والأشهب الواضح ، والأضحى من الخيل ، والقرطاسي ، والأكحل ، والأشهب السوسي ، والأشهب المُجزَّع ، والأشهب المغلَّس ، والأشهب المُدَثَّر ، والأشهب الملمَّع ، والأشمط ، والأشهب المُخلِس ، والأشهب الخليس .

ثم ينتقل إلى باب « الصُّفْرة » فيتحدث عن الأصفر من الخيل وهو الذي يسمى بالفارسية رزده ، وعن الأصفر الخالص ، والهَرَوي ، والأصفر الأعفر ، والأصفر الفاضح ، والأصفر المُطرّف ، والأصفر المُدثَّر ، والأصفر الصافي .

ثم ينتقل إلى « باب الصُّدأة » فيتحدث عن الصُّدأة في ألوان الخيل ، ويذكر الأصبح من الخيل ، والأجْأى من الجُوْوَة ، والأهدأ من الخيل .

ثم ينتقل إلى « باب الصِّنابية » ، فيتحدث عن الصِّنابي من الخيل ، ويذكر الأدهم الصِّنابي ، والأسْفى من الخيل .

ثم ينتقل إلى « باب البَلَق » ، فيذكر : « كُمَيْت أبلق ، وأشقر أبلق .... » وكذلك في سائر الألوان من البَلَق : الأبلق الأدرع والأبلق المطرّف ، والأبلق المُولَّع ، والمُوقَّع من البَلَق ، والأبيض المُنَطَّق ، والأبلق المُجوَّز ، والمُرَيَّش ..... والأغر ، والأرقط ، والأبْرش ، والأرْبش ، والأنمش ، والمدثَّر ، والأشيم من الخيل ، والأرشم أو المرشوم[1] .

وبعد ذلك ينتقل المؤلف إلى « باب الشيَّات والأوضاح والغُرر والتحجيل » ويفصل الحديث عن ألوانها[2] .

ثم ينهي كلامه بخلاصة لهذا الموضوع ، يضعها تحت عنوان : « تلخيص مفيد وتمهيد أكيد »[3]. وفي باب الدوائر التي تكون في الخيل ، حيث تحتل ألفاظ الألوان أيضاً مكانة مهمة ، يتحدث المصنف عن اربع عشرة دائرة مسماة في جسد الفرس[4] .

---

١ ــ في ألوان الخيل : انظر : ابن جزي ص ٤٩ ــ ٧١ .

٢ ــ ابن جزي ص ٧١ ــ ٧٣ .

٣ ــ المصدر ذاته ص ٧٣ ــ ٧٦ .

٤ ــ المصدر السابق ، ص ٧٦ ــ ٨٢ .

ثم يختم ابن جزي هذا البحث النفيس بتذييل ، يذكر فيه ما نَقَلَهُ المؤلف ابن أرقم من مسائل عن رجل يقال له « جُلُّ الهندي » ، فيما يُتَيَامَنُ به أو يُكره من شيات الخيل ودوائرها[1] .

ونحن نجد أنفسنا في هذا الكتاب اللغوي ، أمام مصنّف مهم في ألفاظ الألوان ، يجمع بين دقة التعريف ، واستقصاء ما سبقه من آراء اللغويين ووضوح الشرح وسهولة الأداء .

ونحن في بحثنا هذا لا نريد أن نتوقف عند ابن منظور في القرن الثامن الهجري في مصنفه المشهور ، « لسان العرب » ، الذي يعتبر من أهم مصادر العربية شمولاً وتوثيقاً ودقة . وعسى أن يفيدنا الحاسوب ووسائل البحث الحديثة ، باستخراج جميع ألفاظ الألوان التي ذكرها .

وإن هذا الاستعراض الشامل للألفاظ الدالة على الألوان في هذه المصادر المهمة من تراثنا اللغوي الخصب ، يقودنا إلى الوقوف عند الرسالة التي نشرها المرحوم محمود شكري الألوسي سنة ١٩٢٤م ، وقد اشتملت على شرح أرجوزة مختصرة نظمها أحد شراح الهداية الشيخ علي بن العز الحنفي الشهير بالشارح الجارح ، وذلك في تأكيد الألوان[2] .

وقد صدّر الألوسي ، رحمه الله ، هذا الشرح بمقدمة ذكر فيها ما كان من اختلاف في حقيقة اللون ، وختمه بخاتمة ذكر فيها على حدّ تعبيره ، ما ظفر به في كتب اللغة من الأسماء الموضوعة للألوان المختلفة ، حسبما نطق به العرب العرباء في قديم الزمان .

ويتحدث الشارح عن الأبيات الستة الأولى من الأرجوزة ، بأن الناظم ذكر فيها ، يؤكد اللون الأسود وهي اثنتان وعشرون كلمة وهي :

حالك وأحم ولوبي ومحلنكك واحلولك ونوبي ، ومحلولك ويحموم وحلبوب وحندس وحلكوك وغربيب وغيهب وغيهم وفاحم وحانك ومُدْلهم وفاحم وديجوري وغرابي وحنك الغراب وحلك الغراب . ويشرح الألوسي كلّا منها ويورد الشواهد اللغوية ، ويعتمد اعتماداً

---

١ ــ المصدر نفسه ، ص ٨٢ ــ ٨٥ .

٢ ــ انظر : مجلة المجمع العلمي العربي ، محمود الألوسي ، مج ١ ، ح ٣ ، آذار سنة ١٩٢١مج ١ . ، ج ٤ ، سنة ١٩٢١ .

كلياً على المصادر التي أشرنا اليها دون أن يذكرها في أكثر الأحيان ، واكتفى باشارات قليلة إلى الأصمعي وأبي عبيدة . ومن الواضح أن الشارح يطلق « تأكيد اللون » على ما يسمى أحياناً بالألوان الفرعية . ففي نهاية حديثه عن تأكيد السواد يقول : « فمجموع هذه الكلمات وهي اثنتان وعشرون كلمة أكد فصحاء العرب بها لون السواد »[1] .

ثم يأتي على شرح الأبيات التي يؤكد بها الناظم اللون الأحمر ، فيقول الشارح : وهي سبع عشرة كلمة : قانٍ وقانىء ، وبحراني والغَضْب وذريحي وأرجواني وأسلغ وسلغة والقرْف والماتع والباحري النَّكِع ، والناصع والنصيع والنَّصاع والفقاعي والزاهر .

ويقف الشارح عند كل كلمة من هذه الكلمات الدالة على تأكيد اللون الأحمر ويشرحها وفق المنهج الذي أشرنا اليه .

ثم يأتي على قول الناظم في تأكيد اللون الأخضر وهي ثلاث كلمات : مدهام وناضر وحانىء . ثم يشرحها ويورد الشواهد اللغوية ويحدد دلالاتها ويستدرك على الناظم كلمة « باقل » حيث يقول الشارح : « وباقل لم يذكره الناظم وهو مما يستدرك به عليه ، يقال : أبقل الرمث إذا أدبى ، وظهرت خضرة ورقه فهو باقل ولم يقولوا مُبْقل ، كما قالوا : أورس فهو وارس ولم يقولوا مورس وهو من النوادر ، لكن الناظم أهمل باقلاً لعدم شهرة التأكيد بها[2] .

ثم يأتي الشارح على قول الناظم في تأكيد اللون الأبيض وهو ثمانية منها : مِلاح ولياح ، ودمرغ ، والفقاعي ، والصَّراح والصَّرَح ، ويقَق واللّهقَ وناصع . ويشرح هذه الألفاظ وفق منهجه السابق ، ويعتبر الصَّرَح والصَّراح تأكيداً واحداً ويقف عند لفظة الفقاعي وقفة مطولة ثم يقول : فتبين من ذلك كله أن الفقاعي يصح أن يكون تأكيداً للأنواع الثلاثة : الأحمر والأبيض والأصفر[3] .

ثم يأتي الشارح على قول الناظم في تأكيد اللون الأصفر ، فيذكر :

الوارس ، والفقاعي والفاقع . ويعتمد الباحث في شرحه على ما أورده الصحاح والكشاف ولسان العرب . وغيرها من المصادر اللغوية .

---

١ ــ الألوسي ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ١ ، ج ٣ ، سنة ١٩٢١ ، ص ٨١ .

٢ ــ المصدر ذاته ، ج ٤ ، ص ١١١ .

٣ ــ المصدر ذاته ، ص ١١٣ .

ثم يقف الشارح عند سرد صاحب الأرجوزة مؤكدات لا تختصُّ بلون واحد ، وذلك كجريان ونصيع وعاتك وناضر وفاقع وجربال . فكلُّ هذه الألفاظ يصلح أن تكون تأكيداً لجميع الألوان .

ويتابع الشارح عرض آراء اللغويين حول كل كلمة من هذه الكلمات التي تستعمل تأكيداً لكل لون من الألوان . ويورد النصوص اللغوية والشواهد الشعرية . وختم الشارح هذه الرسالة المهمة بذكر بعض الألفاظ الموضوعة للألوان . فأشار إلى ألوان الخيل والشيات في كتاب فقه اللغة للثعالبي ، ولخص ما أورده ابن سيدة ، مما له علاقة بالألوان[1] .

لا شك في أن هذه الدراسة المتواضعة تقودنا إلى القول بأن العربية منذ نشأتها الأولى وعبر تاريخ الحضارة العربية الاسلامية ، من أكثر اللغات قدرة على التعبير عن الألوان وظلالها بل وما أسمته بالألوان الفرعية أو الألفاظ الدالة على الاشباع والتأكيد في الألوان .

وإذا تساءلنا أمام هذه الأعداد الكبيرة من الألفاظ الدالة على تأكيد اللون ، أو كما يسميها بعضهم الألفاظ الدالة على الألوان الفرعية ، عما اذا كانت بعض هذه الألفاظ لا تخرج عن كونها لغات لقبائل مختلفة ، وبالتالي فهي مترادفات لمدلول واحد ، أم أنّ لكل منها مدلولاً لونياً خاصاً بها ، وبالتالي فإنَّ كلّ لفظة تعبّر عن دقائق من المعاني لا تعبر عنها اللفظة الأخرى ، لأنها تعبِّر عن دقائق من اللون تميزه عن الألوان الأخرى ، لأنه لا ترادف في اللغة ، ولو سلمنا جدلاً بأن هنالك ترادفاً ، نجم عن وجود لغات لقبائل مختلفة ، أليس من المنطق في جميع الأقوال أن ننظر إلى هذه الثروة اللغوية الهائلة ، باعتبارها مصدراً يمدنا بالامكانات الواسعة للتعبير عن معان مستحدثة ، عن طريق النقل ، سواء أكان ذلك في مجال الألوان أم في غيرها من المعاني ، ولا سيما ونحن نجد أنفسنا في العصر الحديث أمام صناعات لا حدّ لها ومنها صناعة الألوان ؟

فقد درجت اللغات الأجنبية الأكثر شيوعاً في العصر الحديث على تسمية مختلف الألوان بالوصف أو بالأرقام ، سواء أكان ذلك في تراكيب أم في جمل قد تطول أو تقصر ،

---

١ ـــ انظر الألوسي ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ١ ج ٤ سنة ١٩٢١ ، ص ١١٦ ـــ ١١٧ .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، بينما نجد العربية تعبّر عنها في غالب الأحيان بلفظ واحد . ولا شك في أن التعبير بلفظة واحدة أفضل من التعبير بعدة ألفاظ .

ففي العربية نقول : أبْرَش (وهو المنقط بألوان مختلفة) .

وفي الانجليزية : Shade of White spots of other colours .

وفي الفرنسية : Nuance' de taches blanches ou autres .

وفي العربية نقول : البَهَار (البياض في لبان الفرس وصدره) .

وفي الانجليزية : Whiteness of the brest (of horse) .

وفي الفرنسية : Blancheur du Poitrail d'un cheval .

والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولا يقتصر الأمر على ألوان الخيل .

ومهما يكن من أمر : الا يتوافر لدينا من الألفاظ العربية الواضحة الدلالة في موضوع الألوان ، ما يمكن أن يكون مصدراً خصباً ، يمدُّ لغتنا الحديثة بالحيوية والنماء والقدرة على استيعاب كل ما يجد في عالم الألوان ؟ وان أهم ما يميز هذه المصطلحات ، مطاوعتها للاشتقاق ، سواء أكان ذلك بالسماع أم بالقياس على إطلاقه .

نحن نعلم أن العربية قد تفاعلت مع لغات الأمم التي امتزجت بها أو تلك التي كانت على تماس معها . فتأثرت بتلك اللغات بكل ما يتعلق بأدب الحواس أي بالمدلولات المادية . فقد تأثرت العربية بلغات الأمم الأخرى في مجال آداب الشم والسماع والذوق والبصر واللمس ، في حين أن العربية قد أثرت في لغات الأمم الأجنبية ، في كلّ ما يتعلق بأدب النفس والروح .

وهذا يعني أنَّ العربية غنية في التعبير عن دقائق المعاني النفسية والروحية ، وكلّ ما يتصل بالمعاني والصور التي يبدعها الخيال .

هذا وإنَّ النظرة الشاملة إلى موضوع ألفاظ الألوان في العربية ، منذ بيئاتها الأولى ، المغرقة في القدم ، وعبر تطورها في مدارج بيئاتها الحضارية ، تقودنا إلى الوقوف عند ظاهرة لغوية وحضارية ، ربما تتميز بها العربية من بين اللغات الأجنبية قديماً وحديثاً . وهذه الظاهرة تتمثل بدقة التعبير عن تداخل الألوان الأصلية وتمازجها ، وما ينشأ من تموجات دقيقة في

مدلولاتها وطبيعة وجودها . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى تبرز أمامنا هذه المبادرة للتأليف المبكر لمعجم لغوي يختص بموضوع الألوان ، حيث جمعت فيه الألفاظ الدالة على الألوان المختلفة وشرحت معانيها من خلال النصوص اللغوية والشواهد الشعرية المختارة للشعراء المشهود لهم بالفصاحة والبلاغة . والشاهد على ذلك : كتاب « الملمّع » لأبي عبدالله الحسين بن علي النمري المتوفى سنة ٣٨٥هـ . وقد لا نغالي اذا قلنا ، ان هذا الكتاب على صغر حجمه ، كان محاولة متميزة ، وربما كانت الأولى من نوعها ، من حيث المنهج ، في وضع كتاب خاص بألفاظ الألوان ، نهج المصنف فيه منهجاً علمياً يستحق الدراسة والتأمل ، فجعل من الشواهد والنصوص التي اختارها وسيلة لتحديد معاني هذه الألفاظ التي تدور حول محور الألوان .

وخلاصة القول ، إنَّ العربية غنية بالألفاظ الدالة على الألوان ، وأنه لم يعد أمامنا سوى خطوة نخطوها من أجل وضع معجم عربي أصيل ومتكامل للألوان مع التحديد والشرح ، ليساير حضارة العصر ويستوعب كلّ ما هو جديد .

والحمد لله ربّ العالمين وهو الهادي إلى الصواب ،،،

ملحـــق

فربما كان من المفيد أن نسجل الألوان وتأكيدها التي أشار اليها أبو عبيدة في كتابه الخيل ، وهي على النحو التالي :

١ ــ الدهّمة :

أ ــ أدهم غَيهَب

ب ــ أدهم دَجوجي

ج ــ أدهم أكهب .

٢ ــ الخُضْرة :

أ ــ أخضر أحمُّ

ب ــ أخضر أورق

ج ــ أخضر أطحل

د ــ أخضر أدغم

هـ ــ أخضر أطخم

٣ ــ الحُوَّة :

أ ــ أحوى أحم

ب ــ أحوى أصبح

ج ــ أحوى أطحل

د ــ أحوى أكهب

٤ ــ الكُمْتَة :

أ ــ كميت أحم

ب ــ كميت أطخم

ج ــ كميت مدمَّى

د ــ كميت أحمر

هـ ــ كميت أكلف

٥ ــ الصُفّرة :

أ ــ أصفر أعفر

ب ــ أصفر فاقع

ج ــ أصفر ناصع

٦ ــ الوُردة :

أ ــ وُرد خالص

ب ــ وُرد مصامص

ج ــ وُرد أغبس

٧ ــ الشقرة :

أ ــ أشقر أدبس

ب ــ أشقر ، مدمّى

ج ــ أشقر أقهب

د ــ أشقر أسفر

هـ ــ أشقر أفضح

٨ ــ الشُّهبة :

٩ ــ الأبرش

١٠ ــ المدنَّر

١١ ــ الملمَّع وهو الأشيم

١٢ ــ المولَّع

الشيّة في الفرس :

١ ــ الغُرر

أ ــ لطم

ب ــ شادفة

ج ــ سائلة

د ــ شمراخ

هـ ــ منقطعة

و ــ شهباء

ي ــ مُغْرَب

٢ ــ القُرحة

أ ــ خفيَّة

ب ــ شهباء

٣ ــ الرَّثَم وتنسب الى :

أ ــ الشدوخ

ب ــ الاعتدال

ج ــ الاستدارة

د ــ الخُفْية

٤ ــ اليَعْسُوب

٥ ــ اللَّمْظَة

أ ــ أسْعَف

ب ــ أصْبَح

ج ــ المُعمَّم

وشية القوائم منها :

أ ــ التحجيل

ب ــ الرَّجَلُ

ج ــ والشَّكل

د ــ مُمْسَك

هـ ــ أغصَم

تسمية وضح القوائم :

أ ــ الخاتم

ب ــ الامغال

ج ــ التخريم

د ــ التجبيب

هـ ــ المسرول

و ــ الأخرج

ز ــ التسريح

ح ــ الصبغ

وشية الذنب :

أ ــ أشعلُ

ب ــ أصبَغ

ج ــ أنبط

د ــ أبلق ، ويقال :

١ ــ أبلق أدرع

٢ ــ أبلق مولّع

٣ ــ أبلق مطرّف

المصادر والمراجع

١ ــ ابن الأعرابي/ كتاب أسماء خيل العرب وفرسانها (رواية ابي منصور الجواليقي) ، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي ، والدكتور حاتم صالح الضامن ، بغداد .

٢ ــ الاسكافي ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب الاسكافي ، كتاب مبادي اللغة مع شرح أبيات مبادي اللغة ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٣٢٥هـ .

٣ ــ بينوس الحكيم/ سرّ الخليقة وصنعة الطبيعة ــ كتاب العلل ، تحقيق اورسولا واير ، حلب ، ١٩٧٩م .

٤ ــ ثابت ، أبو محمد ثابت بن أبي ثابت ، كتاب خلق الانسان ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ، ١٩٦٥م .

٥ ــ الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق سليمان سليم البواب ، دمشق ، ١٩٨٤م ــ ١٤٠٤هـ .

٦ ــ ابن جزي ، عبدالله بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، كتاب الخيل (مطلع اليمن والاقبال في انتقاء كتاب الاحتفال) ، تحقيق محمد العربي الخطّابي ، بيروت ، سنة ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .

٧ ــ ابن سيدة ، أبو الحسن علي بن اسماعيل النحوي اللغوي الاندلسي المعروف بابن سيدة ، المخصّص ، مج ٥ ، ج ١ ــ ٧ ، بيروت .

٨ ــ معمر ، أبو عبيدة معمر بن المثنّى التيمي ، تيم قريش، كتاب الخيل (رواية ابي حاتم سهل بن محمد السجستاني ، رواية أبي يوسف الأصبهاني عنه) ، الطبعة الأولى ، حيدر اباد الدكن (الهندي) ، ١٣٥٨هـ .

٩ ــ ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد ابن القاسم ابن حبقه بن منظور ، لسان العرب ، ج ١ ــ ٦ ، دار المعارف ، القاهرة .

١٠ ــ النمّري ، أبو عبدالله الحسين بن علي النمّري ، كتاب الملمّع ، تحقيق وجيهة السطل ، دمشق ، ١٣٩٦هـ ــ ١٩٧٦م .

١١ ــ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الأول ، الجزء الثالث والجزء الرابع ، سنة ١٩٢١م ، رسالة في الألوان ، محمود شكري الألوسي .

١٢ ــ مجلة اللسان العربي ، المجلد العاشر ، الجزء الثالث ، الرباط ، معجم الألوان ، عبد العزيز بن عبدالله .